الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة أحمد زبانة غليزان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

تخصص: السنة الثانية ماستر أدب جزائري.

مقياس: الآداب الأجنبية "عن بعد".

يوم السبت 12:30سا-13:30سا.

.

الأستاذة : خلوف نعيمة

جامعة غليزان – الجزائر.

naima.khellouf@univ-relizane.dz

المحاضرة: المذاهب الأدبية.

تمهيد:

صمد الإبداع الأدبي في وجه التغيرات التي طرأت على الإنسانية، وحافظ على البعد الحضاري للإنسان تحت أي ظرف من الظروف خاصة العنيفة؛ منها: الحروب، والانقلابات السياسية، والتحولات الاجتماعية التي غيرت مسار التاريخ، فاضطر الأدباء إلى تغيير طرق الكتابة لاحتواء هذا المد الهائل من التحولات، وتصدت أقلامهم لمختلف النزاعات، فتماشت كتاباتهم تحت مسمى المذهب الأدبي.

المذهب الأدبي:

المقصود بالمذهب مجموعة أفكار تستحيل طابعا "وجهات نظر، نظريات وتطبيقاتها" يسود الأدب "والفن" في زمن من الأزمان وبلد من البلدان ويكون لهذا الطابع أعلام يمثلونه أو يوطدونه. وصفات يمكن تحديدها وتعدادها، تتكرر وكأنها القواعد والقوانين.

ويتسع المذهب فيتعدى حدود الوطن الواحد والأمة الواحدة، ويمتد ويستتب زمنا يستحكم فيه ثم تعروه عوامل الذبول والزوال فكما يرتبط نشوؤه منطقيا بظروف معينة، اقتصادية سياسية واجتماعية وفكرية وما إلى ذلك، يؤدي ضعف هذه العوامل إلى ضعفه، ويسبب اضمحلالها اضمحلاله. فإذا حدت عوامل ذات طابع جديد، سعت في نشوء مذهب أدبي جديد"[1]". وأشهر ما عرف الغرب من المذاهب، الكلاسيكية، والرومانتيكية، والواقعية، الرمزية والسريالية. وأهم ما مثلها الأدب الفرنسي.

ويعرف المذهب في مفهومه العام؛ مجموعة من المبادئ الجمالية والفكرية والأخلاقية تشكل في مجموعها لدى شعب من الشعوب، أو لدى مجموعة من الشعوب في فترة معينة من الزمان، تيارا يصبغ النتاج الأدبي والفني بصبغة غالبة تميز ذلك النتاج عما قبله وما بعده في سياق التطور. ويشمل المذهب كل أنواع الإبداع الفني كالأدب والرسم، والزخرفة والطرز المعمارية فهو حصيلة تبلور نظرة الأمة حول طرائق تعبيرها الفنية.

نشأة المذهب الأدبي:

يتكفل الأديب بمهمة التعبير عن هموم المجتمع وطموحاته المستقبلية، فلا يجري الإنتاج الأدبي والفني بمعزل عن المجتمع والبيئة، والمبدع محكوم، بمحيطه الذي يعيش فيه، ويكون جزءا منه يبادله التفاعل، تأثيرا وتأثرا، ويلتفت إلى كل مكونات الحياة التي يعيش انطلاقا من البيئة والطبيعة المحيطة به، والعادات والتقاليد، والأعراف المحكوم بها، بالإضافة إلى الفنون والمهام التي يمارسها في حياته العادية، كما يتأثر بالأحداث التي تمثل نقطة التحول وتهز كيان المبدع بشكل يختلف عن المجتمع العادي.

الكلاسيكية"[2]":

يذهب المؤرخون في البحث عن أصول هذا الاتجاه ونشأته إلى القرن، كان لليونان أدب عال تأثر به الرومان وقلدوه، وعرف أدب هاتين الأمتين – فيما بعد– بالقديم والكلاسيكي. وتنكرت القرون المتوسطة بقيادة الكنيسة لهذا الأدب لأنه يقوم على الوثنية، ولكنها لم توجد البديل، والتزمت اللغة اللاتينية، ولا يكاد يفهمها إلا القلة من المثقفين فقط. وبدأ التململ من سلطان الكنيسة في القرن الرابع عشر والخامس عشر حتى إذا كان القرن السادس عشر كانت عوامل النهضة قد تكاملت وعلت الدعوة إلى إحياء اللغات القديمة وإلى الكتابة باللهجات المحلية.

وسبقت إيطاليا في ذلك غيرها، ثم انتقلت الحال إلى فرنسا واسبانيا والبلدان الأخرى، وجاءت إنجلترا متأخرة. وتميزت بها فرنسا على وجه الخصوص، حتى تمثلت فيها على أحسن مما جرت عليه في غيرها. بما فيها مصدر الحركة إيطاليا. وقد بدا السعي فيها حثيثا في القرن السادس عشر بقيام جماعة خاصة من الأدباء عرفت بالبلياد Pléiade.

وكان من جراء هذه الدعوة وتطورها المستمر في فرنسا، في القرن السابع عشر الذي تزامن مع حكم لويس الرابع عشر نشوء أدب جديد قياسا إلى الأدب القديم (اليوناني والروماني) عرف فيما بعد بالأدب الكلاسيكي الجديد قياسا إلى الكلاسيكي القديم، ثم اختصرت كلمة (الجديد) وعرف بالأدب الكلاسيكي، كأنه صار أهلا للدراسة كما كان الكلاسيكي الأول. وعرف هذا المذهب في تاريخ فرنسا بالكلاسيكية Classicisme. وتقوم على فكر أدبي له عناصره المعروفة ومبادئه المعلومة يذيعه المشرعون ويطبقه المبدعون"[3]". وهي على مراحل.

المرحلة الأولى: "[4]"

تمتد ما بين **1630 م– 1660م**. وتتميز بعنفوان التنظير الذي أنجب شاعرا كبيرا هو **كورني** كتب خلالها مسرحيات مهمة.

المرحلة الثانية:

تمتد هذه المرحلة ما بين **1660م- 1688م**. وتتميز بظهور كبار الأدباء منهم: **راسين وموليير**. وكان أدبهم هو الأدب الجديد وإن كان تقليدا للقديم. ووجدت مواهبهم طريقا إلى الإبداع لأنها لم تفهم التقليد بمعنى الخضوع التام وضعف الشخصية فكانوا بذلك مفاخر الأدب الفرنسي في كل عصر، ومن كبار الأدب العالمي.

مبادئ الكلاسيكية"[5]":

اقترنت مبادئ الكلاسيكية بظروف الزمان والمكان والأعلام وحسب توجهاتهم وهي كما يلي:

- تقليد القدماء: المقصود بالقدماء اليونان والرومان في آدابهم.
- الإنسانية: المعاني المشتركة بين بني الإنسان في عواطفهم وأفكارهم وتمييزه عن الحيوان في سلوكياته وأفعاله. وتجارب الناس الشخصية الصغيرة.
- الأخلاقية: أن يقوم الأدب على الفضيلة؛ كالشجاعة، والصدق والوفاء، وهي على هذا حرب على الرذائل.
- العقل: القوة المحايدة التي تميز الحق عن الباطل وهم يسيطرون به لدى الخلق الأدبي فيحدون من جموح العاطفة وشطحات الخيال.حل
- المعقول: أن يأتي الأدب مشاكلا للحياة، بحيث يمكنك أن تقول وأنت تراه أو تقرأه ممكن التحقيق، ممكن أن يقع أو يحدث.
- العناية بالصياغة: تخير الألفاظ ومتانة التركيب، وإخراج الكلام محكما متماسكا رصينا، فخما ناصعا واضحا دقيقا يروع السامع ويهزه، وصار الاهتمام بهذا المبدأ من أخص ما تتميز به الكلاسيكية، حتى كأن العناية بالصياغة مراد للمصطلح.

- الكلاسيكية في صفاتها العامة تشمل أنواع الأدب الإنساني المختلفة، ولكنها في مجموع مبادئها تظهر، أبرز ما تظهر في المسرحية، وفي التراجيدية على وجه الخصوص، وفي اشتراط الوحدات الثلاث: المكان والزمان والحدث، المنسوبة إلى أرسطو.
- الأدب غير شخصي.
- التعبير باللغة المحلية .
- إحياء التراث القديم .

أعلام الكلاسيكية:

الشاعر الإنجليزي **جون أولدهام** وهو ناقد أدبي، الألماني **جوتشهيد** الذي كتب **فن الشعر ونقده،** ومن فرنسا مجموعة من الأدباء أهمهم: **راسين،** وأشهر مسرحياته **فيدرا والإسكندر. وكورني** أشهر مسرحياته **أوديب. موليير** في مسرحياته **البخيل– طرطوف. لافونتين** اشتهر بالقصص الشعرية.

الرومانتيكية:

تصارعت الكلاسيكية مع تغيرات الزمن، وتراجع الإبداع على منوالها، بالإضافة إلى موجة الإصلاح الديني؛ التي بدأت في انجلترا وألمانيا، ليصل إلى فرنسا لاحقا. ويحل مكان الكلاسيكية مذهبا جديدا سمي الرومانتيكية، وهي تعني من المصطلح رومان(Roman) ومعناها في العصر الوسيط حكاية المغامرات شعرا ونثرا.كما تدل على المشاهد الريفية بما فيها الروعة والوحشة، التي تحيل إلى العالم الأسطوري والخرافي والمواقف الشاعرية، وأول ظهور لها كان بألمانيا في القرن الثاني عشر، تحت دلالات: القصص الخيالي، والتصوير المثير للانفعال.

استعد العالم على أبواب عام 1820م منتظرا ""ساعة الصفر"" أجل، إن المذهب الرومانتيكي الحقيقي يبدأ في فرنسا على رأي الكثيرين، من هذا العام، أما ما سبق ذلك في السنوات العشرين المنصرمة خاصة فهي تمهيد للمذهب وليست مرحلة منه، وعليه تمر الرومانتيكية في فرنسا بطورين."[6]"

يبدأ الطور الأول من 1820م، والطور الثاني يبدأ من عام 1830م، ففي عام 1820م صدر ديوان **لامارتين (تأملات)**، فعد ثورة واتخذه الشباب مثلهم الأعلى. ثم احتل فيكتور **هيجو** الزعامة واشتهر بعده كثيرون منهم: **ميسه، فيني، جورج صاند، سنت بيف، بالزاك، وستاندال.**

مبادئ الرومانتيكية:

- الفردية: الذاتية، الأنا، التجربة الخاصة، ويحتل الحب درجة الهيام، كما يتميز بالعفة حتى يبدو كأنه من عالم الملائكة.
- العاطفة: تكون قوية بالإضافة إلى الحساسية المفرطة حيث تستحيل إلى الكآبة والشعور بالأسى والحزن، وتدخل فيها لفظة السوداوية.
- الاهتمام بالطبيعة.
- فصل الأدب عن الأخلاق.
- الإبداع والابتكار.
- الاهتمام بالمسرح.

الرومانتيكية والواقع السياسي: "[7]"

أول ما يتبادر إلى الذهن لدى سماع كلمة الرومانتيكية : الذاتية والعاطفية والخيالية والهيام بالطبيعة وحب الآثار القديمة...، والأمر صحيح كل الصحة، ولكن، من الصحيح، كذلك أن نعلم أن تاريخ الرومانتيكية الفرنسية –مثلا– وجها

آخر يمثل العمل السياسي والنضال والثورة ومحاربة الحكم الجائر، ويلتزم جانب الشعب– فالفن والأدب للحياة والمجتمع.

وقد تجلت الذاتية عند جان جاك روسو في المرحلة التمهيدية للمذهب الرومانتيكي، وبرزت أهم صفاتها العاطفية، وكان تفكيره سياسيا ثوريا واجتماعيا... وكثيرا ما امتزج الجانبان ولا غرو إن كان روسو ثورة على الكلاسيكية وثورة على نظام الحكم الذي انسجمت وإياه، كان ممهدا للثورة السياسية كما كان ممهدا للثورة الأدبية.

لقد وجهت ثورة 1830م كثيرا من الأدباء الرومانتكيين نحو المعركة الإجتماعية، ودعتهم إلى وصل الأدب بالسياسة وكتب **هيجو**: أن الرومانتيكية هي (التحريرية في الأدب)، وسعى إلى أن يكون صدى عصره الرنان.

ومع **هيجو، لامرتين، وفيني** يسندان إلى الشاعر رسالة اجتماعية، ووظيفة حضارية. وكان لامرتين يقول: عار على من يغمي وروما تحترق. وكتب **جورج صائد** روايات اجتماعية اشتراكية رعت فيها الفلاحين خاصة، وكتب **ميشله** التاريخ على أنه تاريخ الشعب وليس تاريخ الملوك.

تعرض الرومانتيكيون لضغوطات سياسية، أدت ببعضهم إلى المنفى، السجن ، وغيرها من المواجهات مع الحكومة، وهكذا تكون الرومانتيكية قد استضافت وجها آخر لم يكن في أصيل كيانها وصميم تعريفها، ألا وهو الوجه السياسي.

الواقعية"[8]":

انقضى عهد سياسي وتاريخي خلف بعده تغييرا جذريا، انتقل من الرومانتيكية إلى الواقعية؛ فخالفه في القواعد وخلفه في المكانة، معلنا عن مرحلة جديدة في تاريخ الأدب؛ فهي ترفض أن يحول الواقع إلى مثال، وهي تجد في أن

تصور الأشياء كما هي، وقد نشأ المذهب في فرنسا منتصف القرن التاسع عشر. تبناه عدد من الأدباء، ودعوا إليه فنقلوا الواقع كما هو، وتشخيص الحالة المعاشة ووصفها بحيادية؛ وكأن الكاتب غريب عنها رغم وجودها حقيقة.

لقد مل الناس من الرومانتيكية في مبالغاتها الفردية، ونسبوا إليها الخيبة السياسية، ودعا تغير الزمن وما صحبه من تطور في العلوم والمعارف، وخاصة الفلسفة الوضعية إلى أدب جديد اتسم بالمضوعية.

أصبحت الواقعية مصطلحا يوجز العصر ويحدد الأدب المطلوب في صفاته العامة والخاصة، مخالفا لكل ما جاءت به الرومانتيكية، وما شرعته الكلاسيكية، فهذه مرحلة جديدة تختلف عما سبقها.

والخلاصة في المذهب الواقعي – هذا الذي نشأ في فرنسا – أنه غير شخصي أي أن الكاتب لا يتحدث عن نفسه بل يجب أن ينساها، ويمحوها وأن يبقى جامدا غير متأثر إزاء الحقيقة التي يترجمها. إنه موضوعي يعني بالبيئة التي تجري فيها الأحداث، وينظر إلى الناس كما يبدون في حياتهم اليومية ملاحظا حركاتهم وسكناتهم. والفن الواقعي صحيح من الوجهة العلمية، فإنه لا يقدم شيئا غير مضبوط وغير قائم على التقصي.

مبادئ الواقعية:

- الميل إلى التشاؤم واعتبار الشر عنصرا أصيلا في الحياة.
- الانطلاق من الواقع الاجتماعي والطبيعي من خلال الارتباط بالانسان وصراعه مع هذا الواقع. ويصرف النظر عما هو خيالي ومثالي كما تمثل له الكلاسكية وتتغنى به الرومانتيكية.
- العناية بالتفاصيل الدقيقة في وصف الشخصيات والأحداث الواقعية.

- حيادية المبدع التي تعني العرض والتحليل وفق واقع الشخصيات بشكل موضوعي لا وفق معتقدات الكاتب ومواقفه الخاصة، فالكاتب الواقعي مجرد شاهد على الأحداث، ولا يفرض ميوله أو رأيه وهذا لا يعني عدم المبالاة بل حرية الشخصيات ومسار الأحداث تفرض داتها، وبهذا يبلغ الأدب الواقعي غايته.
- اختيار القصة كفن أدبي لبث أفكار المذهب.
- التأثر بالنظريات العلمية والدعوة لتطبيقها في الأعمالهم.
- رفض أي تصورات غيبية وخاصة ما يتعلق بالعقائد السماوية.

أدباء المذهب الواقعي:

يعد الكثير من أدباء فرنسا خاصة، أوروبا عامة من منتسبي المذهب الواقعي الذي جاء منافيا لما دعت إليه الرومانتيكية من بينهم: **لبلزاك، ستندال** من رواياته **الأحمر والأسود. إيميل زولا** من رواياته: **غلطة الأب موريه، أوجين روغون، نانا.** الروسي **مكسيم غورغي.** وغيرهم ممن أسهموا فينشر المذهب الواقعي وكتبوا في فنونه، ومجالاته الإبداعية من قصة، وروايات، ومسرح.

الرمزية"[9]":

الرمزية مذهب أدبي يقف محل النقيض من الواقعية في جانبه المثالي الروحي الذي يعبر عنه غموض، وتوحي الألفاظ منه بالمعنى إيحاء، وتنبئ عن عالمه البعيد المعقد المضطرب في أعماق النفس... رمزا لأن اللغة المتعارف عليها تضيق كثيرا بمحتويات النفس وغوامضها ومتضاربها.

وتبلغ الرمزية، بعد هذا، الطرف الأقصى للطبيعية في علميتها وتجربتها وفوتوغرافيتها. وهي تخالف البارناسية التي تقوم على الشكل والمبالغة به ونمنمته حتى يأتي الشعر فيها موضوعيا كأن لم يكن شيء تحته.

رواد الرمزية"[10]":

يمثل **بودلير** الثورة على كل شيء، والتمرد في الحياة على القواعد والأعراف والأخلاق العامة، والذوق الاجتماعي المألوف بمزاج عصبي، واضطراب في السلوك وقلق دائم، وسعي لإدراك المجهول. دخل الرومانتيكية وخرج عليها، انضم إلى البارناسيين ودخل منهم ولا غرو إن أعجب بالشاعر **إدكار ألن بو** غاية الإعجاب وعمل على ترجمة كثير من آثاره إلى الفرنسية.

وتبرز بين أشعار **بودلير** قصيدة يمكن ترجمتها بالعلاقات– أو المراسلات أو التجاوب – بين فيها– ثمرة لرؤياه الخاصة ومطالعاته الفلسفية– ما يعده كثير من الدارسين أسا من أسس الرمزية.

وكان هناك شاب يدعى **ستيفان مالارميه** يزاول النظم ويطمح أن يكون شاعرا كبيرا، انفصل عن البارانسية وكفر بعالم الأشياء المرئية وسعى إلى بلوغ المثال بمذهب صوفي يتوقف فيه الشعر عن أن يكون فعالية تعسفية تخضع للخيال ويعمل فيه الشاعر على أن يملك لغة كلية جديدة غريبة عن اللغة ومثل السحر.

اتخذ من منزله في شارع روما بباريس منتدى أدبيا يرتاده الأدباء لا سيما الشباب في كل ثلاثاء ورأى مريدوه أنه يعمل على تحقيق المطمح العالي الذي يقوم على الإيحاء بالسر بوساطة الرمز.

إن مذهب **مالارميه** يحتوي على ثلاثة عناصر متميزة: فالكلمة أو بيت الشعر، يحتوي في ذاته قيمة موسيقية خاصة والغرض لا يشار إليه إلا بصورة تلميحية، ومادة القصيدة هي فكرة أي مفهوم مجرد. كان الشباب يصغون إلى **مالارميه** ويتأثرون به، ويرون فيه زعيم الشعر الجديد، ولكنه لم يكن يريد لنفسه هذه الزعامة وكأن الظرف لم يحن لإعلان المذهب أو المدرسة الجديدة.

كان الإعلان الرسمي عن الرمزية على يد **شارل موریاس** إذ نشر البيان الرمزي في جريدة الفيكارو في الثامن عشر من أيلول سنة **1886م**. ومهد لهذا الإعلان، والمذهب فأثروا فيه داخل فرنسا وخارجها، مجموعة من الأدباء أطلق عليهم **(الرواد)** حيث أحدثوا ثورة في الشعر الحديث منهم: **بودلير**، و**فرلين**، و**رانبو**، و**مالارميه**. إلى جانبهم في ألمانيا: **ريلكه**، **وستيفان جورج**، وفي أمريكا: **يمي لويل**، وفي بريطانيا: **أوسكار وايلد**. ولولاهم لما كان للرمزية شأنها في تاريخ الأدب الفرنسي بخاصة والأدب العلمي بعامة.

مبادئ الرمزية:

- الابتعاد عن عالم الواقع وما فيه من مشكلات اجتماعية وسياسية، والجنوح إلى عالم الخيال، بحيث يكون الرمز هو المعبر عن المعاني العقلية والمشاعر العاطفية.
- قاموس الطبيعة: يلجأ إليها الأديب ويتمثلها معبدا؛ حيث أعمدة حية تسمح أحيانا بخروج كلام متداخل يمر الإنسان منها، خلال غابات من الرموز تراقبه بنظرات مألوفة مثل أصداء طويلة تختلط على البعد في وحدة ظلماء عميقة واسعة كالليل وكالوضوح، فالطبيعة، أي العالم المادي المنظور مجموعة رموز متباينة المظهر متشابهة الجوهر والرموز هذه صورة لعالم أمثل، وإذ يكون الكلام متداخلا لا يكون واضحا، وتكون العلاقات بين العطور، والألوان والأصوات بحيث يمكن التعبير عن واحد منها بواحد آخر عنها. فيخلق المبدع عالمه الخاص بعيدا عن الواقع.
- البحث عن عالم مثالي يسد الفراغ الروحي.
- تحرير الشعر من الأوزان التقليدية.

[1] – علي جواد الطاهر، الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي، دار الجاحظ، بغداد، العراق، 1983، ص09.

[2] – علي جواد الطاهر، الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي، دار الجاحظ، بغداد، العراق، 1983، ص13.

[3] – علي جواد الطاهر، الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي، دار الجاحظ، بغداد، العراق، 1983، ص14.

[4] – علي جواد الطاهر، الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي، دار الجاحظ، بغداد، العراق، 1983، ص14.

[5] – علي جواد الطاهر، الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي، دار الجاحظ، بغداد، العراق، 1983، ص15.

[6] – علي جواد الطاهر، الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي، دار الجاحظ، بغداد، العراق، 1983، ص19.

[7] – علي جواد الطاهر، الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي، دار الجاحظ، بغداد، العراق، 1983، ص23.

[8] – علي جواد الطاهر، الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي، ص28. وما بعدها

[9] – علي جواد الطاهر، الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي، ص45 وما بعدها

[10] – علي جواد الطاهر، الخلاصة في مذاهب الأدب الغربي، ص50 وما بعدها